النظام السياسي عند التوارق و التوسع الفرنسي في أقصى الجنوب .

أ.كديده محمد مبارك

المركز الجامعي تامنغست

خاض الإحتلال الفرنسي مخاضا عسيرا قبل أن يتمكن من بسط سيطرته العسكرية على كامل القطر الجزائري و الذي كان يظن أنه بإمكانه إخضاعه في بضعة أيام أو أشهر ، فواجهته مقاومات شعبية قاتلته و أرهقته في الكثير من المواقع حتى تحولت الأيام و الأشهر إلى سنوات ، و لكنه أدرك صعوبة الأمر و خطأ الحسابات التي وضعت في المرحلة الأولى و منها حاول التخفيف من الأعباء و الخسائر في الأموال و الأرواح جراء عملية التوسع في مناطق الجنوب الجزائرية كإستراتيجية جديدة يبني عليها مخطط التوسع ، و من ضمن المناطق التي كان الإحتلال يستهدفها مناطق التوارق في كل من الهقار و آجر و التي كانت تعيش وفق نمط إجتماعي و سياسي كان يجهله الإحتلال الفرنسي مما صعب عليه المأمورية نوعا ما ، فما هي الجوانب الخفية للنظام السائد في هاتين الرقعتين الجغرافيتين الواقعتين في أقصى الجنوب؟ و كيف تمت عملية غزو هذه المناطق ؟.

إن مشروع إحتلال مناطق أقصى الجنوب الجزائري من قبل فرنسا مر بعدة مراحل قبل الغزو العسكري كما حدث في شمال الجزائر فإن كان جنرالات فرنسا يظنون أنه بعد سقوط حكم الداي سيتمكنون من غزو الجزائر بكاملها في فترة وجيزة لا تتعدى أسابيع معدودة ، ولكن هذا لم يحدث إذ سرعان ما إكتشف الشعب الجزائري زيف الإدعاء الفرنسي حول أهداف حملته الآنف ذكرها ، و نظرا لما لقيته قوات الإحتلال من المقاومات الشعبية فإنها تبنت خطة تمكنها من التوسع في باقي المناطق بطريقة توفر الجهد و الأرواح في صفوف جنودها فلهذا الغرض أرسلت بعثات إستكشافية لكشف خبايا هذه المناطق.

و فيما يخص مواطن التوارق و المناطق المجاورة لها فقد كان الإهتمام الفرنسي بها مبكرا قبل غزو الجزائر وكان هدفها إستكشاف الطرق التجارية و أسرار الحواضر الكبرى في الصحراء فعلى سبيل المثال لا الحصر بعثة رينيه كاييه (RENE CAILLE) في سنة 1824 و الذي عاد إلى فرنسا في 27 سبتمبر 1828 حيث كان هذا الشخص أول فرنسي يتوغل في قلب الصحراء و يقدم معلومات حول

جغرافيتها مجتمعاتها و خاصة التوارق رغم قلة هذه المعلومات ،إلا أن هذه الكشوفات في هذه الفترة أخذت طابع التنافس بين فرنسا و بريطانيا بشكل غير معلن إلا أنها مكنت الأوربيين من جمع معلومات أولية عن طبيعة حياة السكان بمختلف مجالاتها في هذا الحيز الجغرافي[1].

و كانت أول بعثة مكلفة رسميا من طرف سلطات الإحتلال الفرنسي واضحة الأهداف حيث كانت تهدف لإستكشاف مواطن التوارق يقودها الكولونيل فلاتيرز(C.FLATTERS) الذي قام برحلتين بعد أ، منح الإعتماد الرسمي لرحلته بتاريخ 07 نوفمبر 1879 وبعد أن حددت أهداف البعثة و الإطار البشري الذي تضمه[2]، و توجهت رحلته التي تهدف لإكتشاف خبايا مناطق التوارق في رحلتها الأولى نحو آزجر (جانفي– ماي 1880) و التي وصلت تيماسنين بتاريخ 29مارس من نفس السنة و تمر على واد تكات و واد سامن و إغرغرن و تباتي و تقيم معسكرها عند بحيرة منخور في 17 أفريل ، ولما عزمت البعثة على مواصلة تقدمها إلى الشرق بعدما إنتظرت قدوم قادة التوارق طويلا و بدأت مؤونتها تنفذ و لكن قبيلة إمنغاستن لم تسمح لهم بالتحرك لعدم حيازتهم على تصريح من زعماء التوارق يخولهم التنقل و على إثر ذلك بقيت البعثة في إنتظار الزعيم خنوخن، و حدد فلاتيرز تاريخ 20أفريل كآخر أجل للمغادرة و هو ما فعله إذ تمكن من الفرار هو وبعثته ليلا ما يعني فشل الحملة في تحقيق هدفها و هو الإتصال بزعماء التوارق و لكنها حققت في المقابل نجاحا نسبيا حيث تمكنت من جمع معلومات تيبوغرافية دقيقة تفيد مشروع السكة الحديدية المزمع إقامته ذو الأهداف التجارية يصل إلى غدامس و هو ما يشكل تهديدا لمصالح التوارق في أزجر[3].

والحقيقة أن ما كان ينقص الإحتلال الفرنسي معلومات مستفيضة حول مناطق التوارق فعدد من الضباط الفرنسيين تمكنوا من وصف حياة السكان من مختلف زوياها في عدة مناطق من الصحراء الجزائرية جنوب الأطلس الصحراوي و توقفت أبحاثهم في المناطق المحيطة بوادي ريغ أو مناطق وادي ميزاب كالتي قام بها ترومليTRUMELET)سنة 1863[4] أو قبلها كافينياك (CAVAIGNAC) سنة 1847[5] و رغم تأكيد الفرنسيين على أهمية المعلومات التي توفرها التقارير و البعثات التي يقودها هؤلاء العسكريين في خدمة الإحتلال الفرنسي[6] و رغم أن بعضها أحذ طابع الخدمة الأهداف التجارية لفرنسا و رغم أنها سبقت حملة فلاترز و رغم دور التوارق في التجارة مع المناطق الشمالية من إفريقيا جنوب الصحراء إلا أن بعض التقارير في هذه الفترة لم تتضمن الكثير من المعلومات عن هذه الفئة لم تتعدى

وصف المظهر الخارجي[7] و هو ما يفسر الرغبة الرسمية في كشف خبايا عالمهم و توجيه الأضواء الأبحاث ما سينجم عنه الكثير من الدراسات الأنتربولوجية التي تعنى بدراسة مجتمع التوارق .

و بعد فشل رحلة فلاترز الأولى في أزجر توجهت الثانية نحو موطن التوارق الثاني في الجزائر صوب منطقة الهقار(أكتوبر 1880-فيفري1881) بعد أن قرر في إجتماع في جوان1880 تحديد الإطار الجغرافي و الإطار البشري و حاول التواصل مع قيادة التوارق في هقار التي كان على رأسها الأمانوكال أهيتاغل[8] ما يشكل جس للنبض و يشرح فيه بعض أهداف حملته العلمية[9].

حلت البعثة بتاريخ 12 جانفي 1881 بمنطقة أمقيد و واصلت التقدم إلى أن نصبت معسكرها عند بئر لقرامة و هنا تمت بينها و بين فرقة من التوارق إنتهت بمقتل قائد البعثة فلاتيرز و حراسه و تقهقرت البعثة و تشتت تحت ضربات توارق الهقار و رغم ما قيل في هذا الموضوع من مبالغات تحاول أن تضخم المنتصر أو تحاول أن تصور فلاتيرز في صورة الضحية[10] إلا أ، أبرز ما يمكن إستخلاصه هو أن الفرنسيين لم يتمكنوا من إختراق مواطن التوارق على الأقل من الإستكشافي تمهيدا للغزو العسكري، و إن كانت الصبغة العسكرية ليست بالبعيدة عنها نظرا لطبيعة قائدها و رتبته العسكرية و الوفد العسكري المرافق لها ،فقد فشلت في أزجر و تمكنت من الفرار و كذلك في هقار التي إنتهت فيها و قضي عليها و على قائدها ،و إستفاد الفرنسيون من وصايا فلاتيرز و تعليماته و أخطاءه و خاصة تعليماته التي أوصى بها بعد فشل حملته الأولى نحو أزجر و خاصة ضرورة تشديد الحراسة و رفع عدد الجنود المرافقين للبعثة حيث إنطلقت بعثة فورو لامي(FOUREAU LAMY) ما بين 1897و 1898 التي كانت تهدف للوصول إلى تشاد لدعم الإحتلال في مناطقها و جمع المعلومات عن المناطق التي لم تكن قوات الإحتلال الفرنسي قد تمكنت من غزوها بعد في الصحراء وقد نجحت في ذلك بعد تجنبها الإحتكاك بالتوارق عن طريق دفع حقوق المرور في أزجر و تجنب الصدام مع كيل أهقار و هو ما يعطي و هو ما أعطى معلومات جديدة للإحتلال أوعزت للقائد العسكري لابيرين(LAPPERINE)إنشاء فرقة عسكرية من المهاري الصحراوية تساهم في التوسع العسكري في الصحراء[11] ، ما يعني بداية تغيير الإستراتيجية الفرنسية في الصحراء و طريقة تعاملها مع هذه المناطق نتيجة المعلومات التي خلصت إليها بعثاتها الإستكشافية .

النظام السياسي عند توارق الهقار و آجر :

يختلف النظام السياسي الذي كان سائدا عند التوارق في كل من مناطق الهقار و آجر عن النظام السياسي الذي كان في باقي مناطق الجنوب الجزائري من حيث التنظيم و النمط السياسي و كيفية تناقل المنصب ، و ان كانت مرجعية القبيلة و العرش هي التي تسود كامل الجزائر و نفس الشيء يمكن أن يقال عن هذه المناطق الآنف ذكرها ففيما تختلف يا ترى عن الأنظمة الأخرى؟

و لعل ما يبرز الصعوبات التي واجهت الإحتلال الفرنسي الذي راجع حساباته بعدما واجه مقاومات شعبية عديدة مفكرا في طريقة تمكنه من التوسع بأقل الجهود و الضحايا هي جهله في البداية بكل المعلومات التي تخص مجتمعات أقصى الجنوب الجزائري لكنهم شرعان ما جمعوا معلومات مستفيضة عنها ، فلاحظوا أنها لا تحتلف كثيرا عن باقي الأنظمة الإجتماعية و السياسية في المناطق الأخرى من الجزائر كثيرا إذ مازالت تعتمد في جوهرها على نظام الجماعة حين وصفها "بروسلار" في كتابه رحلتي فلاتيرز إلى بلاد توارق آجر و الهقار(Les deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar) أن لديها نظاما ديموقراطيا يناقش فيه فيه الجماعة و أمامها كل القضايا[12].

و قبل الخوض في تفاصيل احتكاك الفرنسيين بالنظام السياسي نعود إلى توضيح بعض المصطلحات حيث يعتلي أعلى هرم السلطة عند التوارق أمنوكال و ليس أمين العقال التي يحاول بعض الكتاب و الصحفيين تسويقه و فرضه على أساس أنه مصطلح صحيح و أن هذا الرجل كما يدل عليه المصطلح حسبهم أمين عام للعقال و هذا ليس بصحيح فلا علاقة لمصطلح أمين بلهجة التوارق و حتى من حيث المقصد السياسي الذي يبدوا معاصرا للمصطلح و لم يكن متداولا عندهم و لا في تعاملاتهم ، و ان كانت تفسيرات هذا المصطلح فسرت خطأ من طرف بعض الباحثين و وقوعهم في هذا الأمر أنما مرده إلى التفسيرات التي حاولوا صياغتها نسبة إلى اللغة العربية و ليس بالعودة إلى لهجة التوارق[13] ، بينما الأوربيون أخطأوا على منحا آخر ليس من الناحية المصطلحية و انما من ناحية تفسير دور هذا الشخص المهم في نظام القبيلة و الذين اعتقدوا أنه مالك الأرض و هذا استنادا إلى بعض الأدوار التي يقوم بها فظنوا هم أنه كذلك انطلاقا من تفسيرات لربما تكون مستندة إلى تفسيرات مبنية على الخلفيات السياسية التي كانوا يعرفونها و ليس استنادا إلى الخصوصيات السياسية المحلية ذات البعد الثقافي و العمق المحلي المختلف عن ما كانوا يعرفون[14].

و السياق الصحيح لمعنى أمنوكال هو ما طرحه مرموري : «... أمنوكال نتاج كلمتين "مسيس – ن– أكال بمعنى سيد البلد أو سيد الأرض و أدت الضرورة اللغوية إلى تطور الكلمتين و تحولها إلى أمنوكال لتصبح مفردة مستقلة ، و هناك من يرى أيضا أن هذه الكلمة ناتجة عن تركيب كلمتي أمغار الذي يعني رئيس أو زعيم و التي تطلق في الأصل على رئيس القبيلة بكلمة أكال و الإقتران الذي يؤدي إلى أمغار– ن–أكال أو رئيس البلد ثم حذف النصف الثاني من الكلمة الأولى و تحول الحرف الأول من الكلمة الثانية من (أ) أو (و) لتسهيل ارتباط الكلمتين الذي يتم بأداة الوصل و الملكية (ن) لتتحول في النهاية إلى أم– ن–وكال...» [15] ، و شخصيا أميل إلى الطرح الثاني فكلا الطرحين مؤصل تأصيلا جيدا[16].

و ما تجدر الإشارة إليه أن أمنوكال يتم انتخابه من قبل رؤساء مجموع القبائل المشكلة للعصبية و يتم اختيار أحد المرشحين الذين يملكون هذا الحق من الخط الأمومي و منه اكتسبت الأم أهمية كبيرة عند التوارق ، فالمرأة يمكن أن تمنح لأبنائها حق الزعامة بالوراثة و هذا مميز لقبائل التوارق إضافة إلى مجموعة من المميزات التي تجعل من الشخص يعتلي هذا المنصب متفوقا على منافسيه الذين يملكون حق الترشح عن طريق الوراثة من الخط الأمومي أيضا، منها الصفات السياسية و الأخلاقية و الجسمانية و يملك أمنوكال مجموعة من الصلاحيات السياسية و الإقتصادية و القضائية و الإجتماعية تمكنه من غدارة شؤون القبيلة و ذلك بمساعدة مجلس مكون من الشيوخ و الأعيان يستشيرهم و يناقش معهم كل القضايا [17]

إستراتيجية الإحتلال الفرنسي في الهقار و آجر:

لقد كان لنظام الإحتلال الفرنسي مخطط محكم للإحتلال في المناطق الصحراوية فقد تعاملت بذكاء مع القوى المؤثرة فيها و لم تكن مناطق التوارق بمعزل عن هذه السياسات ففي الوقت الذي كان الفرنسيون يرغبون في إستكشاف مناطقهم إستعملت فرنسا أسلوب القوة و التخلي جزئيا عن الأسلوب الديبلوماسي لأنها كانت تخرق الإتفاقات حال ما تشعر بالقوة و إمكانية السيطرة على الأوضاع في تلك المنطقة أو كان هدفها في بعض الأحيان تجنيب فئة أو تحيين الصراع معها لحين الفراغ من أخرى أو لفك أواصر التعاون المحتمل ضدها[18].

و منه فإن الإحتلال الفرنسي سيمزج بين أسلوب القوة و المهادنة في تعامله مع المقاومة في كل من منطقة الهقار و أزجر، فقد أظهر الإحتلال تغييرا في الإستراتيجية حين جهز بعثة فلامون

(FLAMAND) التي تحركت بتاريخ 28 نوفمبر 1899 بإتجاه عين صالح و هدفها إحتلال المناطق المتبقية من مناطق التيديكلت و الهقار و تمكنت القوة الفرنسية من هزيمة المقاومة الشعبية في عين صالح نظرا لعدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين خاصة نوعية الأسلحة ، وهي مقدمة لإحتلال الهقار حيث أقام لابيرين قاعدة عسكرية لقيادته نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي و خاصة بالنسبة لسكانها التي تعتبر من أهم أسواقها التموينية[19] .

و تحركت بعدها حملة الضابط كوتنيس(COTNEST) صوب هقار لإحتلالها و يعبر الفرنسيون على إصرارهم هذا حين يقولون : "...بلدنا السيد في الشمال و الجنوب و على حافتي الصحراء ،لكن في الوسط توجد منطقة يمكن القول أنها غير معروفة ، تعود فيها السيادة إلى مجموعة من الرجال الذين يمنعون و بغيرة المرور بداخلها لا يمكن أن تستمر هذه الحالة ..."[20] إن هذا الكلام يدل على إصرار الفرنسيين على إحتلال مناطق الهقار بالقوة من جهة ، و يدل على شح المعلومات عنها و عن وضع و عدد قواتها من جهة ثانية ، ورغم ما أورده البعض من أسباب للغزو إلا أن و جهة النظر هذه تعتبر قريبة جدا إلى الصحة حيث و من كل ما سبق نستنتج أن الفرنسيين كانوا يستعدون لغزو الهقار و ما ينقصهم هو الذريعة فقط[21].

أقدم القائد كوتنيس على رأس فرقة من المهاري على إختراق مناطق الهقار بإستعمال القوة من أمقيد إلى إدلس إلى تازروك إلى تين تارابين و أخيرا في تيت أين وقعت أبرز المعارك[22]بتاريخ 07 ماي 1902 هزم فيها كيل أهقار و شكلت هذه المعركة منعرجا حاسما في الأحداث و أزالت خوف الفرنسيين من هقار التي كانت منيعة و غامضة في نظرهم و تأكدوا من فاعلية فرقة المهاري التي أنشأوها حيث أصبح بإمكان الفرنسيين القيام بدوريات بفضل الفرقة الآنف ذكرها تقوم بإستعمال القوة و السلب و النهب و أبرزها في نفس السنة و التي مكنت الفرنسيين من معلومات جد هامة عن مرتفعات الهقار التي لم تعد حصينة في وجههم و إستعراض القوة[23].

و نفس الشيء يمكن أن يقال عن أزجر حيث لم يعترض سكانها فرقة القائد العسكري بان(PEIN)حين جاءت لحماية عثة فورو لامي(FOUREAU LAMY) الآنف ذكرها و في سنة 1903إنطلقت دورية من عين صالح بقيادة الملازم باسي(BASSET) التي قامن بعدة إعتداءات و نهب و سلب ، و تلتها بعض الحملات كان هدفها المزيد من الإكتشافات و إستعراض للقوة ، و أيضا دورية النقيب

توشارد(TOUCHARD) ما بين 1904-1905 التي كان هدفها الوصول إلى جانت و إقامة علاقات مع قيادات أزجر و تمكنك بعثته من الغوص في المنطقة و العودة بالكثير من المعلومات كما حدث في هقار و تأكد الفرنسيون أنهم لن يتمكنوا من إخضاع هذه المناطق إلا بإستعمال القوة و هذا دليل آخر على أن هناك العديد من العوامل المشتركة بين أزجر و هقار جعلت فرنسا تغير من أسلوبها في كلا المنطقتين رغم إختلاف بعض المعطيات الزمكانية في كلا المنطقتين إلا أن العلاقة كانت مترابطة فما إن سقطت هقار حتى بدأت التحرشات الفرنسية في كلا المنطقتين.

تأثير النظام القبلي عند التوارق على تطور الأحداث في هقار و أزجر:

كما أسلفنا تم إختراق مناطق توارق هقار بعد 1902و أزجر قبلها بسنوات و بالضبط في 1880 إلا أن أهم المميزات المشتركة بين المنطقتين المدروستين و المقاومة الشعبية فيهما هي النظام القبلي الذي تسير وفقه و الذي كان له التأثير في سير و تطور الأحداث فيها .

و إن كان الإحتلال الفرنسي أدرك أهمية رجال الدين و المشايخ و تأثيرهم في الصحراء كما أشرنا آنفا و أدرك أهمية البحث و الترجمة لخدمة مصالح الإحتلال و تمكينه من السيطرة على المناطق التي يحتلها[24]، وبما أنه شجع و أصر على إكتشاف كل حيثيات مجتمع المناطق المدروسة من خلال العدد الكبير من بعثاته الإستكشافية التي أتينا على ذكر بعضها و لم نأت على ذكر البعض الآخر توحي لنا أهمية نتائج بحوثها و إستغلالها في التوسع في هذه المناطق بأقل الأضرار و قد كان من أبرز المجالت المدروسة نظام الحكم في هذه المناطق و هو النظام القبلي الذي نجد على رأسه زعيما يسمى عند التوارق أمانوكال ،فقد أخذ الفرنسيون في حسبانهم السلطة التقليدية التي يتمتع بها الزعيم عند التوارق في مناطق نفوذه و مثال ذلك أنه حين عزم على الإحتكاك بهم بعث أسماعيل بوضربة كونه مسلم من أصل جزائري في رحلة إلى غات مر خلال بمناطق أزجر و التي وصلها في سبتمبر 1858 و تعرض للتهديد بالقتل لولا تدخل الزعيم أخنوخن في فترة كان الأمانوكال هو محمد أق ختيته، و حين عاد بوضربة كان قد جمع معلومات هامة جدا خاصة عن العلاقات السياسية و مميزات السلطة التقليدية ما يعني أن الفرنسيين كانوا يدركون أهمية معرفة مواطن التأثير في هذا النظام[25]، و حتى الخلافات السياسية سيحاول الإحتلال الفرنسي إستغلالها لتدعيم الخلافات التي تخدم مصالحه من دون شككما سيحدث في هقار و هي قضية سنتحدث عنها في أوانها لاحقا.

و كان الإحتلال يسعى للإتصال بقيادات التوارق و التي تمثل أعلى الهرم الإجتماعي سواء في أزجر أو في هقار ما يعني أنه كان يدرك أهميتها من جهة و يريد جس نبضها من جهة أخرى، ففي أزجر أدركت فرنسا ضرورة إحترام القواعد التقليدية و لذا وقعت على إتفاقية مع قيادات أزجر بتاريخ 22 نوفمبر 1862 تقر بموجبها فرنسا بدفع ضريبة المرور و تأمين القوافل التجارية المارة عبر المنطقة و العديد من البنود التي تعترف بسيادة كيل أزجر على أراضيهم[26]

إضافة إلى هذا كان الإحتلال حذرا في التعامل مع قيادة التوارق حيث أدرك حساسية العلاقات معها مبكرا و خاصة لما إكتشف أنه لا يمكنه التحرك أو المرور عبر مناطقهم دون إذن منهم أو رخصة مما كان السبب الرئيسي في فشل مهمة فلاتيرز نحو أزجر التي إضطرت للتراجع و الفرار و العودة أدراجها رغم ما قيل أنها لم تكن موجهة أصلا إلى هذه المنطقة.

و أكد توارق أزجر أنهم لن يسمحوا بمرور خط سكة حديدي في مناطقهم و الذي من شأنه أن يهدد مصالحهم التجارية و مواردهم المالية المتمثل في رسوم الحماية و المرور بل أبدوا إستماتهم في سبيل منع قيام هذا المشروع ، وقد كان الفرنسيون يفهمون جيدا كيفية التعامل مع النظام القبلي في الجهتين أزجر و هقار و لا أدل على هذا أكثر من كلام القائد العسكري لابيرين(LAPPERINE):"...عند التوارق مازال نفوذ الطبقات النبيلة كبيرا جدا ،إذن علينا في كل مرة تتاح لنا فيه الفرصة ، أن نحتفظ بتنظيمهم الإقطاعي البدائي أثناء الخضوع لنغيره شيأ فشيأ لأنه من الأسهل تغيير تنظيم موجود... من أن نخلق تنظيما جديدا، خاصة عندما يتعلق الأمر بإدارة ناس مازلنا قليلي الوثائق على عاداتهم و تقاليدهم و هذا ما حقق نجاحا كبيرا في أهقار ،لكن مع الأزجريين ليس الأمر كذلك..."، إنه كلامه يدل على الحنكة الكبيرة التي كان يتعامل بها الفرنسيون مع النظام التقليدي الذي نعتوه بالبدائي و أيضا يمكن أن نستنتج من كلامه عزم الفرنسيين على الإبقاء على هذا النظام لأنه يسهل عليهم مهمة السيطرة [27]

و إن كانت الأمور قد إستعصت على الفرنسيين من أجل إخضاع زعماء توارق أزجر حيث رفض الأمنوكال إنقدازن أق أبكدا و السلطان الشيخ أمود الإتصال بالفرنسيين مهما كانت غايته[28]عكس هقار الذي نجحت فيه الخطة الفرنسية حين راحت فرنسا تحاول إستغلال تداعيات مقتل فلاتيرز لتتخذها معيارا مزعوما لتصنف على أساسها لعدو من الصديق و وجدت ضالتها في شخص موسى أق مستان[(29)]و الحقيقة أن الخطة الفرنسية في هقار إستندت على عاملين هما :

الأول: إستغلال عامل التأثير المباشر الذي يلعبه سوق توات و تيديكلت على هقار كونها المصدر التمويني الأول لها و بما أن السيطرة الفرنسية تمت على هذه الأقاليم و خاصة تيديكلت التي وقعت تحت سيطرتها و أقامت بها مركزا لقيادة قواتها بكل هذه الناحية سيكون لها –أي قواتها–تدخلات في كل الأقاليم المحيطة نظرا للموقع الإستراتيجي.

الثاني: إستغلال النزاع الواقع بين أتسي أق ملال و موسى أق مستان حول من يخلف أهيتاغل أق محمد بيسكا و رغم أن موسى كان أقل المرشحين حظا و الأولوية كانت لـ: أتسي إلا أن الفرنسيين و عن طريق المعلومات التي تحصلوا عليها من جواسيسهم ما كانوا ليضيعوا فرصة خلق إضطراب سياسي في هقار كان سيضعفها حتما و تدخلت في الأمور و حسمت الأمور لصالح موسى الذي إستطاع الفرنسيون فرضه بحكم الأمر الواقع و نصب أمنوكال رغم أن أتسي لم يعجز و لم يمت ، وكما سيطرت في تيديكلت على الأمور وفق نظرية فرق تسد و التسابق نحو المصالح و إستغلال رجال الدين فإنها لم تغير كثيرا من إستراتيجيتها هذه في هقار فقد بعثوا الحاج بيلو لإستعمال نفوذه و الدعاية للحكم الفرنسي و الدعوة للإلتفاف حول موسى لخدمة مصالحهم .

وبالفعل طبق الإحتلال مخططه حيث قامت بضغط إقتصادي حيث كانت تمنع سوق توات على معارضي موسى، و أيضا تعليق كل الإتصالات مع السلطة التقليدية في هقار لأنها كانت وراء مقتل فلاتيرز "ليكن في علم الجميع أننا لا نريد أن تكون لنا أدنى علاقات مستقبلا مع أمنوكال الهقار الحالي(أتسي) و مع أعيانهم الذين كانت لهم مساهمة في إغتيال مهمة فلاتيرز..." و هو ما يبرز أن الإحتلال فرض نفسه طرفا مؤثرا في الصراع في هقار مهما كانت الذرائع التي يحاول أن يخفي وراءها مخططاته.

و أيضا في أزجر حاولت أن تجعل من موسى أق مستان الذي في عين صالح معاهدة الإستسلام في جانفي 1904مع رئيس ملحق عين صالح ميتوا(METOIS) وسيلة لجعل قيادة أزجر تمضي هي الأخرى معاهدة حين حل هو و صديقه الحاج بيلو و قد إستقبلهم الأمنوكال إنقدازن و الشيخ أمود و عدد من النبلاء و أيضا أمنوكال نا–هقار أتسي و هي المهمة التي لم ينجح فيها موسى ، إلا أن الإحتلال واصل إستعمال القوة تارة و الديبلوماسية تارة أخرى في أزجر لتفكيك و إضعاف النظام القبلي فيها الذي وصفه بالفدرالية[30].

و دائما في أزجر لم ينجح مخطط زرع بذور الصراع الداخلي فإن كانت ساعدت موسى على عزل أتسي فإنها لم تنجح في صناعة هكذا سيناريوا في أزجر فحتى إبراهيم أق بكدة الذي أذاق الفرنسيين الهزائم تلو الأخرى و بعد أن أنتهت مقاومته تقديرا منه لميزان القوى الذي لم يعد في صالحها و الذي وقع مع الفرنسيين معاهدة الخضوع و عين قائدا على قبيلته لا غير و ليس أمنوكال لأنه ما كان ليخالف التقاليد مع وجود أمنوكال شرعي هو أبوبكر لقوي، وهذا لا يعني أن فرنسا توقفت عن التلاعب بالنظام القبلي ففي سنة 1920 عينت موسى أق مستان قائدا على جانت بعد رحيل الشيخ أمود وإذا تمعنا جيدا في تطورات الأحداث نجد أن الإحتلال تمكن من الإستيلاء على أهم صلاحيات السلطة التقليدية التي أصبحت مجرد هيكل مفرغ من محتواه و حولت شخصية أمنوكال من شخصية الزعيم صاحب السلطة المؤثرة و المطلقة التي لا تناقش إلى مجرد قائد يعين و على حساب مقاسه[31]

و منه نلاحظ أن النظام القبلي تأثير في تطور الأحداث فقد ادرك الإحتلال أن هذا النظام يشكل حصانة و مناعة لهذه المناطق و لكن عرف كيف يستغل عيوبه و قدمه ليجعل منه وسيلة إختراق و إخضاع لها و ما يمكن قوله أن هذا الموضوع مزال بحاجة لمزيد من البحث و التنقيب و لا يمكن بأي حال من الأحوال الإحاطة بكل جوانبه في هذه الأسطر المعدودة و المحدودة إلا أنها تمثل نظرة على صفحة من صفحات تاريخ الجزائر .

الملاحق :

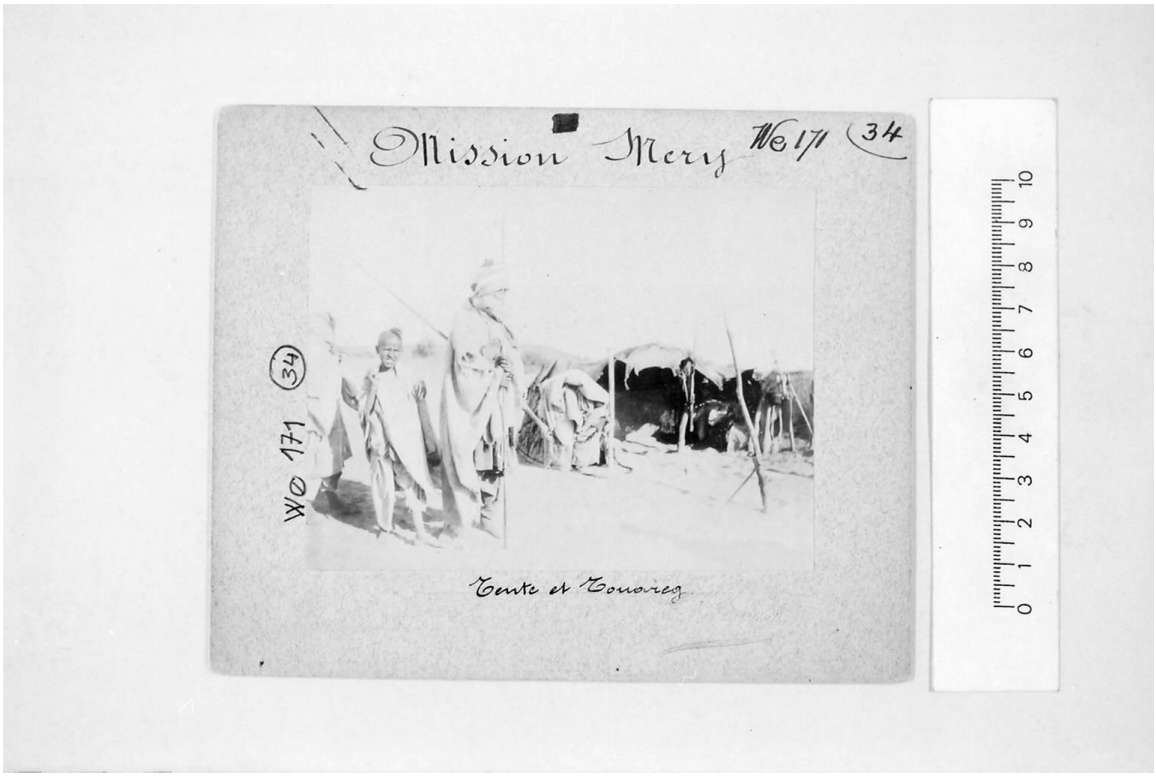
Mission Mery
We 171 34
We 171 34
Touaregs et Touareg
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

Mission Mery
We 171 38
We 171 38
We 171 38
Guerrier Touareg
0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

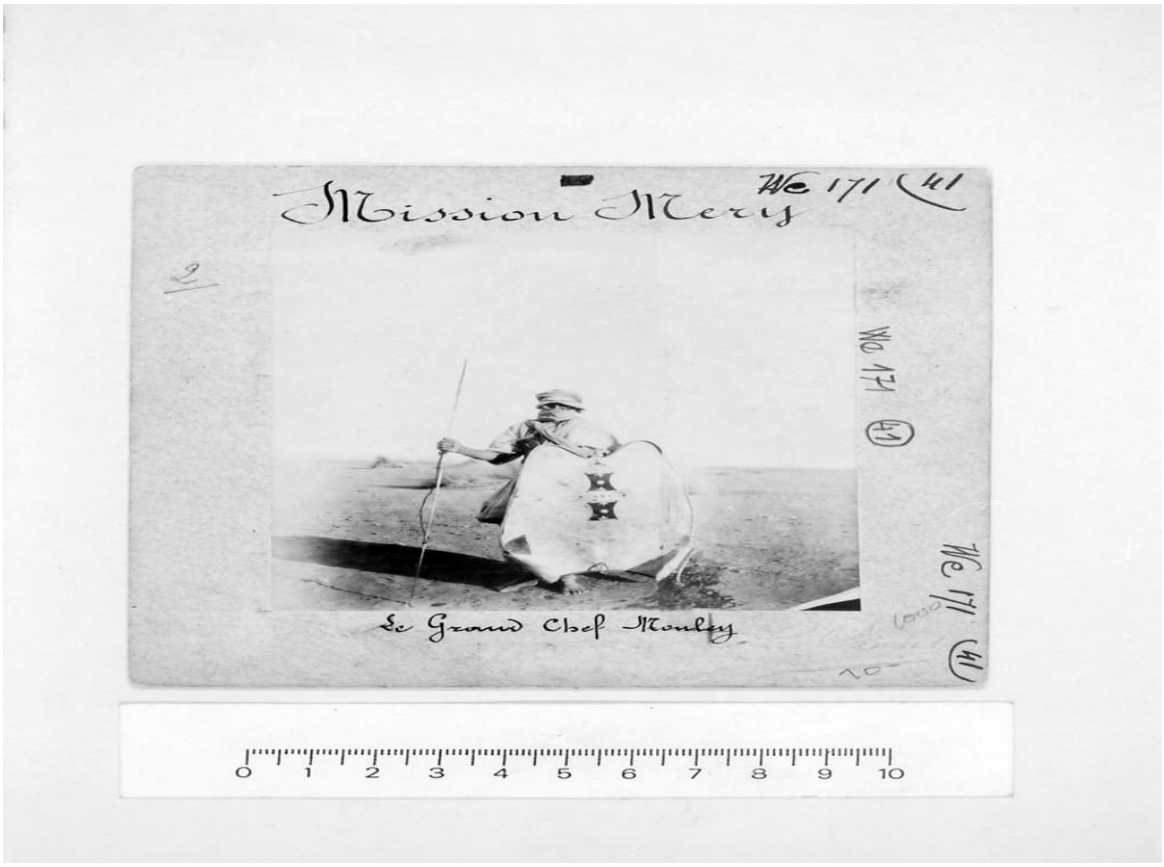

Source :G.Camu, **Photos de la mission Gaston Méry dans le Sahara algenien en 1893**, Galica.bnf.fr

الهـــــــــــــوامش:

1- حسن مرموري ، **التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين** ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزار ، 2010،ص213-231

[2] -Henri Brosselard ,**Les Deux Missions Flatters au Pays des Touaregs Azdjer et Hoggar**, Librairie Fume,2eme ed Paris,1889,p3-5.

[3]-مرموري ، المرجع السابق ،ص232-236.

[4]-voir- C.TRUMELET,**Les Français dans Le Désert –journal d'une Expidition au Limites du Sahara Algerien**,Librairie Garnier Frére ,Paris,1863.

[5] -voir-Félex Jacquot,**Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algerien en Avril et Mai 1847**,Lebrairie Gide et J.Baudry , Paris,1849.

[6] –PAUL SOLLEILLET, «Voyage de PAUL SOLLEILLET d'Alger à L'Oasis d'In Salah », Rapport present à la chambre de commerce d'Alger,1875,p3-4.

[7]– Ibid , p90.

[8] –Brosselard,Op cit,p206-208.

[9] Ibid,p206-208.

[10]–مرموري ،المرجع السابق، ص238-242.

[11]– نفسه ،ص238-242.

([12]) Brosselard ,Op cit ,p 254.

13- أنظر دراستنا : **قراءة في وثائق عن الإحتلال و المقاومة في الهقار في نصوص و وثائق**

14 - مرموري، المرجع السابق، ص 173.

15- مرموري ، المرجع السابق ، ص170-173.

16- انظر دراستنا : **المقاومة الشعبية في الهقار و آجر قواسم مشتركة و علاقات متداخلة .**

– للمزيد من الفهم و التعمق في الفهم عد إلى : مرموري ، المرجع السابق ، ص174- 184. 17

2- أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**،دار الغرب الإسلامي ،ط1،بيروت ،1992 ،ج1 ، ص359-363.

1-إبراهيم مياسي ،**توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1996،ص110.

[20]– مرموري ، المرجع السابق،ص329.

[21]– نفسه، ص330.

22- أحمد مريوش ، "التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان الهوقار1916"،مجلة المصادر،العدد 11 ،2005،ص130-131.

[23]– مرموري ، المرجع السابق، ص333-334.

[24]-ابو القاسم سعد الله،**الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900**، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2000،ص531-544.

[25]- مرموري ، المرجع السابق،ص220-222.

[26]- نفسه ،ص375،244.

[27]- مرموري ، المرجع السابق ،ص375،244.

[28]- نفسه ،ص370.

(29) عبد الحميد زوزو ، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007، ص139-141

[30]- زوزو ، المرجع السابق،ص139-141.

[31]- مرموري ، المرجع السابق، ص410-420،411-421.